٢٩-١٢-٩٥

نايفة.. الذكرى

كأنها لم تمت .

نايفة على حضور دائم. كأنها غادرت البارحة، او هي لم تغادر. لانها ارادت ان تحتج، ولم ترد ان تغيب. في ظنها انها انما تذهب الى علي. ولا بد ان تعود. ليس لاجلها بل لاجل الصبي الذي غاب كما غابت.

« يا علي » قالتها نايفة، دون مرافقة آلة موسيقية لها. كان صوتها ضاجا، ولكنه بدا خافتا في كل هذا الصخب. في هذا الجنون الذي لا ينتهي. وهي التي تركت اوراقا وتوصيات، تركت صور علي وصورة لها. صورة لا تشبهها. نايفة ذات الشعر المصفف و «الفولار» المعقود على الرقبة والعقدة الهادئة. نايفة لم تكن هكذا في رحلة البحث عن علي. كانت على غير هذه الصورة. نايفة الموظفة في المكتب، الذي كان يمتلىء بحضورها، صارت اما في اوقات الدوام، على غير عادتها. لذا راحت الى النحول والضمور، وفقدت عيناها ذلك البريق.

كان الزوج قد مضى في غفلة عن الزوجة. وغاب علي في غفلة عن الام. كان وحيدا، وكانت وحيدة. هو وحيدها وهي وحيدته. وان لفظ البحر الزوج، فان نايفة لم تطق ان ترى الارض تلفظ الولد.

اصعب ما في الكون ان تنتظر وان لا يجيء من تنتظر. ان لا تعاتب حين تلتقي مرة اخرى، بذلك الذي لم يجيء في الموعد. لربما ذهبت نايفة لعتاب علي، ولما انتظرته طويلا هناك ولم يكن في الموعد، بعثت ببرقية ذكرى غيابها الاولى. هي تريد ان تذكرنا بان عليا لا يزال غائبا، ولكنه غير بعيد. وهي كذلك.

نايفة حاضرة . هي ذات حضور لا يضاهى. من لا يراها جاثمة على ورق الاتفاق الثلاثي، بثقل غير عادي.

اسألوا الامهات اللواتي لا يزلن ينتظرن اولادا، في العقود في مواجهة البحر، او في تفاصيل الحلم.

هذا الصباح ، صباح الغياب لنايفة، التي تنتظر ان تلتقي عليا ولا تعود.

عبدو باشا